

أحاديث رمضان ١٤٣١ - أمثال القرآن الكريم - الدرس (٣٤-٠٩) : قال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء)

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٠-٠٨-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

المقارنة بين إنسان خامل معتزل الناس وبين إنسان يأخذ بيد الخلق إلى الله :

أيها الأخوة الكرام، من آيات الأمثال هذه الآية، وهي قوله تعالى:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَا رِزْقًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هُلْ يَسْتَوْنَ ﴾

[سورة النحل: ٧٥]

إنسان مكبل، مقيد، خامل، منطوي على نفسه، معتزل الناس، لا يفكر بعمل صالح، ولا بخدمة إنسان، ولا بعطاء، ولا بنصيحة، ولا بدعة، يعيش ليأكل، وإنسان آخر :

﴿ رَزَقْنَاهُ مِنَا رِزْقًا حَسَنًا ﴾

[سورة النحل: ٧٥]

هل يستوي الإنسان الخامل والإنسان الذي يأخذ بيد رزقه علمًا، ومالًا، وحكمة، وطلاقه لسان، وقدرة على التأثير، يعمل ليلاً نهاراً في خدمة الخلق، يأخذ بيد الخلق إلى الله، يوفق بينهم، يقرب فيما بينهم، يطعم جائعهم، يرعى مريضهم، يصل من قطعه، يعطي من حرمه، يغفو عن ظلمه، هل هناك تساوي بين هذين الشخصين؟

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ ﴾

[سورة السجدة: ١٨]

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنَّ نَجْعَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

[سورة الجاثية: ٢١]

أيها الأخوة الكرام، أريد أن أبين لكم هذه الحقيقة، هناك من يتوهم أن الفرق بين المؤمن وغير المؤمن؛ أن المؤمن يصلّي فقط، ويصوم، ويحجّ بيت الله الحرام، ويؤدي زكاة ماله، لا والله، والله الفرق لا تستوعبه الصفحات، ولا خطب في سنوات، الفرق جوهرى، هناك ذهب عياره أربعة وعشرون، وذهب عياره واحد وعشرون، وذهب ثمانية عشر، الفرق بينهما بالدرجة، لكن هناك قطعة الماس رأيتها بعيني في متحف في إسطنبول، توبى كوبى، ثمنها مئة وخمسون مليون دولار، بحجم البيضة، وهناك قطعة فحم لا تساوي قرشاً، والالماس أصله فحم هل يستويان؟



الفرق بين المؤمن وغير المؤمن

أنا أريد أن أقول لكم المؤمن الحقيقي إنسان آخر، إنسان آخر بمبادئه، بقيمه، بأخلاقه، بأدواته، برحمته، بعدله، بإنصافه، بسعادته، بتوفيقه، الدعاء إلى الله لا يدعونكم إلى أن تصلوا فقط، يدعونكم إلى سعادة الدنيا والآخرة، يدعونكم إلى الفلاح، أن تكتب الدنيا والآخرة معاً، أو أن تكون نعم الدنيا متصلة بنعم الآخرة، إذا دعاك الله إليه، دعاك إلى رحمته، دعاك إلى أن تكون غنياً، قوياً، عفيفاً، متألقاً، تملك سعادة الدنيا والآخرة.

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا ﴾

[سورة النحل: ٧٥]

تجلس مع إنسان لا يحذثك كلمة في الدين، إلا بأسعار السيارات، بالأسماء، بالتجارات، بالبيوت، والمركبات، همه الدنيا، لذلك ورد في بعض الأحاديث:

((من أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه، وشتت عليه شمله، ولم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له، ومن أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة))

[الترمذى عن أنس]

عرف أنه مخلوق للجنة، مخلوق لجنة عرضها السماوات والأرض.

عدم استواء المؤمن مع غير المؤمن بنص القرآن الكريم :

إنسان عرف الله، عرف طريقه إلى الجنة، عرف الحق والباطل، عرف الخير والشر، عرف الحلال والحرام، عرف ما يمكن وما لا يمكن، ما يجوز وما لا يجوز، تضبطه القيم، تحكمه المبادئ، يرتقي من حال إلى حال، إنسان آخر عرف الطعام والشراب، عرف النساء، عرف الشهوات، يعبدوها من دون الله، اتخاذ إلهه هواء

الفرق كبير جداً أكبر مما تتصورون،
لذلك يكفيك قوله تعالى:
﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا
يَسْتَوْنَ﴾

[سورة السجدة: ١٨]

﴿أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا
لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

[سورة القلم: ٣٥-٣٦]

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ
بِالْحُسْنَى﴾

[سورة الليل الآيات : ٥-٦]

وبني حياته على العطاء، يتقرب إلى الله بالعطاء، بخدمة الخلق، بنصائحهم، يرحم عليهم، يصبر على مسيئهم، ينتظر مدینهم، وبين إنسان يسعى لشهوته، يسعى لمعنته، فرق كبير جداً،
لذلك :

﴿أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

[سورة القلم: ٣٥-٣٦]

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ﴾

[سورة السجدة: ١٨]



المؤمن واضح يعمل تحت ضوء الشمس

المؤمن واضح يعمل تحت ضوء الشمس و لا يخشى في الله لومة لائم :

الآية دقيقة جداً:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّغَاهُ مَتَّاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة القصص: ٦١]

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾

[٧٥ سورة النحل]

قال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا ممولا لا يقدر على شيء ..)



مقيد بشهواته، محبوس في ترهاطه، مرأة كنت في الكويت ألقى أخي محاضرة كان في بلد محتل من قبل العدو الصهيوني، لكن أهله على درجة عالية من التدين، أقسم لي بالله قال لي: نحن المحاصرون، وليسوا هم، نحن محاصرون بشهواتنا، ومصالحنا، هم أحراز، فلذلك المسافة كبيرة جداً بين الذهب وهو من أثمن المعادن وبين

أثث المعادن، أنا مرة اطلعت على مقالة سفينة قبل مئتي عام غرفت في المحيط الأطلسي، ومحملة بخمسةطنان من الذهب الخالص، في النهاية عثر عليها، واستخرجوا الذهب، ونظرت إلى صورة الذهب، مئتا عام في البحر وكأن الذهب يلمع لمعاناً مذهلاً، الذهب ذهب، المؤمن ألماس أو ذهب، لا يخونك، لا يكذب عليك، لا يحتال عليك، لا يغتابك، لا يمكر فيك، لا ينافق، لا يتذلل، لا يتضعضع، ليس دخيلاً، كريم، مبادئه واضحة، يعمل تحت ضوء الشمس، لا يخشى في الله لومة لائم، المؤمن واضح.

((قد تركتم على البيضاء ليلاً كنهاراً لاما يزيغ عنها بعدى إلهاً هالك))

[ابن ماجه عن العريان]

المسافة الكبيرة بين المؤمن والكافر :

الآية التالية تريد أن تبين كم هي المسافة كبيرة بين مؤمن وكافر، أقسم لكم بالله لو أن إنساناً دخله لا يزيد عن مبلغ لا يكفيه أسبوعاً من الشهر، وساكن في بيت صغير، قميء، وطعامه خشن، وثيابه خشنة، لكنه مؤمن، لكنه يعرف الله، وأخر معه ألف ميلار، ألف مليون، وساكن بأجمل بيت، ويركب أجمل مركبة، وعنه أجمل زوجة، يقتني أغلى الآلات، ليس هناك مسافة تجمع بينهما:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾

[سورة السجدة: ١٨]

﴿صَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هُلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل: ٧٥]

بل أكثرهم لا يعلمون السعادة التي ينعم بها المؤمن، لا يعلمون الأمان الذي يملأ قلب المؤمن، لا يعلمون الراحة التي يعيشها المؤمن، لا يعلمون البصيرة التي يملكها المؤمن، لا يعلمون مقدار هذا النور الذي يقذفه الله في قلب عبده المؤمن.

المؤمن مقيد بالإيمان وبمنهج الرحمن والإنسان الآخر مختلف يفعل أي شيء من أجل متعته

مثل آخر:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾

[سورة النحل: ٧٦]

آخرين، لا يتكلم كلمة خير، ولا يفكر بدعوة إلى الله، ولا بنصيحة، ولا بالتوفيق بين شخصين:
﴿أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهَ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هُلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة النحل: ٧٦]

من خلال هذين المثلين في هذه الآية يتضح أن المسافة كبيرة جداً بين مؤمن وغير مؤمن، وآيات كثيرة تدعونا إلى الموازنة، إنسان ترتاح له، لا تخاف منه، لا تخاف أن يغدرك، لا تخاف أن يطعنك بالظهر، لا تخاف أن يغتابك، لا تخاف أن يحتال عليك، لا تخاف أن يفعل معك شيئاً لا يرضي الله.

((الإيمانُ قَيْدُ الْفَتَنَ))

[أخرجه أبو داود عن أبي هريرة]

مقيد بالإيمان، مقيد بمنهج الرحمن، والإنسان الآخر مختلف، يفعل أي شيء من أجل متعته، يرتكب كل حماقة من أجل شهوته، يركب رأسه أحياناً، يتناقض، يقسّو ولا يرحم، يأخذ ولا يعطي، يعلو ولا يتواضع، هو لاء النموذجان في حياة الناس.

الناس عند الله نموذجان لا ثالث لهما :

لذلك:

﴿وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالنِّسَاءَ * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾

[سورة الليل: ٤-١]

على وجه الأرض ستة آلاف مليون إنسان، يتحركون، قف على شرفة بيتك وانظر إلى الطريق الساعة الثامنة، مزدحم بالمركبات، والمشاة، كل إنسان



يتحرك إلى هدف، تصور ستة آلاف مليون إنسان في القارات الخمسة يتحركون، كل هذه الحركات لا تزيد عن حركتين، فقط:

﴿فَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾

[سورة الليل الآيات : ٦-٥]

صدق أنه مخلوق للجنة فائقى أن يعصي الله فبني حياته على الإحسان، والثاني:

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخَلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾

[سورة الليل الآية : ٩-٨]

كذب بالجنة تكذيباً عملياً، لم يعبأ بها إطلاقاً، إنسان بالثمانين أنشأ كازينو في لبنان، بالثمانين لا يدخل الجنة في حسابه إطلاقاً، لا الجنة ولا النار، الثاني؛ كذب بالحسنى، كذب بالجنة، فاستغنى عن طاعة الله، فبني حياته على الأخذ، المؤمن يعطي، غير المؤمن يأخذ، هذا الفرق الكبير، المؤمن يسعده العطاء، الآخر يسعده الأخذ.

فذلك أيها الأخوة، لأن الله عز وجل يريد من هذه الآية التي فيها مثلان أن يبين المسافة الكبيرة جداً بين المؤمن وبين غير المؤمن.

والحمد لله رب العالمين